ببيع شعب لا تملك عليه حق السيادة ، لصالح جماعة اخرى افضل تنظيما .

لا يمكن تشييد السلام في الشرق الاوسط ، الا على دعائم العدالة . ان هذا السلام القائم على العدل ، سوف ينهي بؤرة للتوتر تهدد بحريق عالمي خطير، كما سيفتح الباب امام امكانات عظيمة لتحقيق التقدم ، سواء في الغرب او في الشرق ، في النصف الشمالي من الكرة الارضية او في نصفها الجنوبي على السواء . وعلى الحركة العمالية في بريطانيا أن تبرهن على ان جل ما تبتغيه في الشرق الاوسط ، هو المساهمة بخدمة التزامها بقضية العدالة والتقدم ، وليس المساندة الفورية والآلية لاي من الفريقين .

وقت لاعادة التفكير

كانت حرب الشرق الاوسط في اكتوبر — تشرين الاول ١٩٧٣ ، نهاية عصر ، اذ انهت هذه الحرب أسطورة الجيش الاسرائيلي الذي لا يقهر ، كما انهت حقبة مديدة من التوسع الصهيوني الذي بدا لفترة طويلة وكأنه لم يكن يواجه اية مقاومة . واستنهضت هذه الحرب معارضة شبه اجماعية للسياسات الاسرائيلية بين أمم آسيا وافريقيا الناشئة ، كما كشفت للعالم الغربي ان حقائق الموقف في الشرق الاوسط تختلف كليا عن المعطيات التي يعرفها ويؤمن بها على نطاق واسع . لكن هذه الحرب كانت بالنسبة لقادة حزب العمال البريطاني مناسبة اخرى لاعادة تأكيد التزامهم الكامل والفوري بالخط الاسرائيلي ، مما ألحق بالحزب اضرارا في الوطن (بريطانيا) ، وأذى كبيرا على صعيد العالم الثالث . ومع ذلك فلقد كانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، فاتحة أول تحد ناجح للهيمنة الصهيونية على حزب العمال البريطاني، وانتشار قناعة على نطاق واسع في صفوف الحزب، بانه لا بد من مراجعة السياسة حيال فلسطين وشعبها .

كتب الدكتور جون هـ. دينيس ، المرجع الموثوق والمشهور عالميا ، والاميركي البارز الذي تولى المفوضية العامة لوكالة هيئة الامم المتحدة لاغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين طيلة خمس سنوات ، يقول : « لقد وجدت ، بصفتي المفوض العام للاونروا ، ان هناك تفاوتا كبيرا بين الفهم الشائع عالميا لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وبين حقيقة القضية ، بل ووجدت ان هناك تناقضا في عدة نواح وأوجه ، بين ذلك الفهم والواقع . وحين بدأت بدراسة الجوانب الاساسية للعلاقات العربية — الاسرائيلية ، اكتشفت الامر نفسه ، أي هذا الابتعاد عن فهم الحقيقة ، بل والتعارض معها ، وخاصة فيما يخص بالفهم السائد لسبب النزاع »(١).

الواقع ان الحركة الصهيونية بذلت مجهودات جبارة وناجحة على امتداد العالم قاطبة ، لخلق الموقف المشار اليه ، اي موقف عدم الفهم ، أو الفهم المعاكس للحقيقة . وحققت الحركة الصهيونية في حزب العمال البريطاني نجاحا لم تعرف له مثيلا في اي مجال اخر . لكن الحقيقة بدأت بالتقدم والانكشاف على مدى العالم كله . وبالنسبة للحركة العمالية في بريطانيا ، أزفت ساعة الامتحان الحاسم للنفوذ الصهيوني ، وضرورة ارساء دعائم سياسة تقوم على معطيات اكثر انفتاحا وشمولا وملاءمة من السياسة السائدة حتى الان .

كان من مقاصد وسياسات الفروع البريطانية للحركة الصهيونية العالمية ، على الدوام ، التسلل الى حزب العمال البريطاني . اما غاية الصهيونية فلقد كانت ولا تزال ، طرد الشعب الفلسطيني من أرض وطنه ، واقامة دولة استيطانية يهودية على تلك الارض . وكان الصهيونيون ولا يزالون ينطلقون في نشاطهم من فرضية أن معهم حقا الهيا بالوصول الى هذا الهدف ، وعلى أساس ان تحقيق هذه الغاية يبرر اللجوء الى أية وسيلة . والحقيقة ان الغاية التي سعت اليها الصهيونية ، مثلها كمثل الوسائل التي استعملت لتحقيقها ، تتناقض والمبادىء الاساسية للديموقراطية الاشتراكية . وبرغم ذلك فسان التسلل الصهيوني الى حزب العمال البريطاني حقق نجاحا مدهشا ومثيرا الى أبعد الحدود .

لقد وصل الامر بأعضاء حزب العمال البريطاني ان يؤمنوا بأن الصهيونية والاشتراكية صنوان ، وان العرب غزاة ومعتدون . الا ان الفلسطينيين هم الذين طردوا من ارضهم . كان الفلسطينيون يشكلون ٩٢٪ من سكان فلسطين في عام ١٩١٧ ، أما اليوم فان مليونا ونصف المليون من الفلسطينيين